

بِيرَام خان (محمد بيرام خان)، خان الخوانين، أحد الأمراء، وزراء السلالة التيمورية* في الهند. من العرق التركماني، من قبيلة بهارلو* إحدى بطون القراقوينلو. كان لهذه العشيرة بعد موت ملكشاه السلجوقي (485هـ) نفوذ كبير في ديار بكر. دخل جدّه يارعلي بيك بلال في خدمة بابر (حك: 932-937) (بابر، مج 1، ص 91، 189)، كما دخل والده سيف علي بيك، حاكم غزنة، بعد وفاة بابر في خدمة همايون (حك: 937-963هـ) (فرشته، ص 25).

وُلد بِيرَام خان في بدخشان، أو على الأرجح في غزنة. فَقَدَ والده وكان لا يزال طفلاً، فهاجر حينئذ إلى بلخ، حيث بدأ دراسته. رافق وهو في السادسة عشرة من عمره همايون إلى الهند؛ وشارك في معركة تشوسا (946هـ)، وقنوج (947هـ) اللتين أسفرتا عن هزيمة همايون الماحقة، وبما أنّ العدو كان يلاحقه لجأ إلى سَنبَهَل، الواقعة في إقطاع همايون، حين علم شيرشاه، الحاكم الأفغانيّ خبر اختباء بِيرَام خان، طلب إليه إمّا الدخول في خدمته، أو مغادرة سَنبَهَل. فرَّ بِيرَام خان إلى بلاط السلطان محمود، ملك عُجْرَات، ودخل في خدمته. بعد وقت وجيز تدرّج بيرام خان بأداء فريضة الحجّ، وذهب إلى راجوتانا، ماراً من الصحراء السندية، وفي العام 950هـ التحق بهمايون في مدينة جون، وذهب برفقته إلى قندهار.

كان في حملات همايون على الهند قائداً عاماً للجيش، وأحرز الانتصار في عدد كبير من المعارك. أهم انتصاراته، -الذي منح همايون عرش الهند- انتصاره على سكندر سور [إسكندر، السوري] في العام 963هـ.

اعترافاً بفضلله، عينه همايون مربيّاً لابنه "أكبر" البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة، ومنحه لقب "خان بابا". حين عُيّن أكبر حاكماً على البنجاب، ذهب إليها برفقة بِيرَام خان. بعد وفاة همايون في العام 964هـ، أعلن بِيرَام خان أكبرَ إمبراطوراً، وأقام مراسم التتويج. بعد وقت وجيز، وبعد هزيمة هيمو الذي هاجم دهلي قائداً لجيش سور، دَعَمَ ركائز حكم أكبر شاه. في ذلك الحين، كان بِيرَام خان وهو في أوج قوّته يحكم باسم أكبر الذي كان لا يزال تحت وصايته.

زواج بِيرَام خان من سليمة سلطان بيغم، ابنة عمّة أكبر، منحه المزيد من رفعة الشأن وعظيم الشوكة. كان ابنه عبد الرحيم خان، خان الخوانين [أمير الأمراء]، من زوجته السابقة، ابنة جمال خان، أحد خوانين هيوات.

في العام 966هـ، عيّن بيّرام خان "الشيخ غدائي كمبوه¹ الدهلويّ الشيعي" في منصب "صدر الصدور". هذا التعيين أدّى إلى حنق الطورانيّين الذي كانوا سُنّة. فضلاً عن ذلك، أدّى اختياره لأشخاص شيعة للأعمال الديوانيّة، وتضييقه ماليّاً على الشاه وعائلته، واعتراضات مربّية أكبر شاه، إلى سخط هذا الأخير وتغيير رأيه به. حين وجد بيّرام خان نفسه في معرض الخطر، ذهب بذريعة الحجّ إلى جَلَنْدَهَر، إنّما كان هدفه احتلالها، لكنّه مُنيّ بالهزيمة في مواجهة جيش السلطنة، وأُجبر على الاستسلام. عفا الشاه عنه، بعد أن جُرّد من لقبه ومنصبه. في العام 968هـ، توجه بيّرام خان إلى الحجّ، لكنّ في السنة نفسها، في الرابع عشر من جمادى الأولى، في منتصف الطريق، قتله مبارك خان اللوخانيّ، الذي كان بيّرام خان قد قتل والده في الحرب، ونهب معسكره، فدُفن حيث قُتل، ومن ثمّ نُقل جثمانه أولاً إلى دهلي، ودُفن فيها مؤقّتاً، ومنها إلى مشهد في العام 971هـ، ودُفن بناءً على وصيّته بجوار حرم الإمام الرضا عليه السلام.

كان بيّرام خان محقّقاً وشاعراً، ومدوّقاً للفنّ، ملتزماً بمبادئ الشيع. كان مشجّعاً للعلماء والأدباء محترماً للفنّانين والصنّاعيين. امتدح فضائل الأخلاقية ومقدراته الفكرية، حتّى المخالفين والمنتقدين له كالبدائونيّ. نُشر ديوانه في كلكتة في العام 1328هـ/1910م.

عوض أكبر نكرانه جميل بيّرام خان، بتربية ابنه الميرزا عبد الرحيم خان، وبزواجه من سليمة سلطان بيغم، زوجته.

المصادر والمراجع: محمّد حسين آزاد، دربار أكبرى [بلاط السلطان أكبر] (بالأردية)، لاهور 1988م، ص 157 وما بعدها؛ ميرغلامعلي بن نوح آزاد البلغراميّ، خزانه عامره، كانبور 1900م، ص 458-459؛ جواهر آفتابششي، تذكرة الواقعات، الترجمة الأردية لمعين الحقّ، كراتشي 1956م، الفهرس (مصدر قيّم للاطلاع على إنجازات بيّرام خان في عهد همايون، ويتضمّن حالات تشرّده)؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، دمشق 1939م، مج 14، ص 232؛ فريد بن معروف البكريّ، ذخيرة الخوانين، نسخة خطية في الجمعية التاريخية الباكستانية، رقم 1؛ عبد الحيّ الحسينيّ، نزهة الخواطر وهجّة المسامع والنواظر، مج 4، حيدر آباد الدكن 1374هـ/1954م، ص 64-66؛ نور الله بن شريف الدين الشوشترّي، مجالس المؤمنين، طهران 1299هـ/1882م، ص 431-432 (ورد في مشجّرة الأسماء من دون شكّ خطأ في ما يتعلق بيّرام خان)؛ محمّد قاسم بن غلامعلي فرشته، گلشن ابراهيمي [الروضة الإبراهيمية]، بومباي 1831م؛ غلام علي شيرين عزّت الله

¹-Gadāi Kambōh

قانع، تذكرة مقالات الشعراء، ط. حسام الدين راشدي، كراتشي 1957م، ص 98-102
والفهرس؛

أجنبي.....

للاطلاع على الصورة الكاملة للمراجع ← د. الإسلامية، الطبعة الثانية "مادة يبرام خان".
/بزمي الأنصاري، ملخصاً من (د. الإسلامية) /